

السبت 24-05-2008

## 267- برغم كل الجارى، مازال فينا: "شئٌ ما"

ضد كل الجارى حالاً: حولنا، وبننا، وعلينا، ضد هذا الواقع المؤلم المزعج المنذر المخيف، أطلت على عيون مصرية: طفلة، وشاب، وفلاح، وعامل نظافة، ومجنون. كل تلك العيون قالت "لا"، "... والكن...": "هناك شئٌ ما" لا ترونه أيها العميان الجبناء. نفس الكلمات قيلت في نفس اللحظة. هذا الشئ ليس جديداً على، سمعته من "خواجية" محجة اختارت أن تعيش في مصر جداً، فهمته منها دون أن تقوله رداً على تعجبي من أنها تركت بلادها الحرة جداً، لتعيش معنا، ونحن "هكذا"، ورأيت في شعر الأبنودي، وتشكيلات وتاريخ أحمد نوار، وتقشف وصوفية رمضان بسطاويسى، وابتسامة وقبله هالة عذب، وتعقيبات وحضن هالة نمر، وطيبة غباء إبراهيم السهران، ونبض شعر عبد الصبور، وآلام ابنته، وفي كل نجيب محفوظ، وفي صوت "نور" وهى تناديني لأول مرة "جدي"، وفي أمانة حافظ عزيز، وفي طفولة واندفاعات إبراهيم عيسى، وصوت دقات حذاء كلايت "هنا" محمد الرخاوى، ورقص وغناء أطفال الأوبرا، ومثابرة وذكاء خالد صقر، وعناد وتدين مها عصام، وعند بائعة "الخضار" على الناصية، وفي جحر ثوب زوجة البواب، وفي لؤم منادى السيارات، وخبث الولد الشقى يبحث عن كرتيه في شرفة جارتنا. كما سمعت حفيف احتكاك هذا الشئ على طول كل الطوابير، وفي جوف أنين الأطفال يتقلبون جوعاً قبل أن يغلبهم النوم، سألت نفسى سراً: هل مازال "هذا الشئ" موجوداً حقيقة، أم أنى أصبر نفسى؟

شئٌ ما في داخل داخل هذا الشعب يدعو للحمد والتفاؤل برغم كل الجارى، والذي سيجرى، نعم هو نفس الشئ الذى أطلت على من تعقيبات وتساؤلات، وتداعيات الأصغر على نشرة "الإنسان والتطور" اليومية في الموقع الخاص به، وهو الذى رأيت في عيون بعض المصريين في الخارج حين تطول بهم الغربية (الجيل الأول) وهو الذى يجعل مرضى يثقون فى أنى أصدقهم، فيصدقون، هو نفس هذا الشئ... ما!!

لا يا شيخ؟!!

أعرف ما يمكن أن يصوب إلى حالنا من قذائف، تتهمنى أننى لا أدري ماذا يجرى فى قاع المجتمع، وأننى أجلس فى برجي العاجي

أكتب هذا الكلام، سوف تمر القذائف الأرحم بجوارى دون أن تصيبني وهم يفوتون لي باعتبار أنني أهذى أو أحلم، أو لعلها تصفى بشفقة حانية: بالطيبة أو بالغفلة أو بالخيبة البليغة، وهي توصيني أن أترك "... الهَم لأصحابه"، لتفرغ لجاني الذي يبدو أنهم أعدوني، لكن كل هذا لا ينجح أن يحول بيني وبين أن أظل أرصد "هذا الشيء المأ".

أعرف أننا شعب يتصف بالكسل، وأنا لا نعمل حتى وإن كان أغلبنا يذهب للعمل يوميا، وأنا لا نحترم الأرصفة، ولا إشارات المرور، وأنا نعيش بالتقريب، ونادراً ما نحترم الاختلاف، وأنا نحكم على بعضنا البعض بسرعة وسهولة لدرجة لا تسمح بتبادل أية آراء حقيقية، وأنا نحب الاعتمادية، ونحذو كيف نلاعب الحكومة من أول الموظف الصغير بعلبة سجائر مالريورو، حتى المسئول الكبير الذي بيده خرائط الأراضي القابلة "للتسقيع، وهو يفوتها للحيتان من تحت المكتب، أو في لقاء خاص، بفندق خمسة نجوم، وهو يجمل تحت إبطه أيضا الدليل السرى خرقية البورصة هذا الأسبوع. أعرف كل ذلك، لكن يظل هذا "الشيء الم... ما" يلاحقني. كيف يستطيع أن يظل في موقعه هكذا محترقا كل ذلك؟!!

أعرف ما آل إليه التجهيل المتماذي المسمى التعليم، كما أعرف أين موقعنا من البحث العلمى الحقيقى، ومن صراع التكنولوجيا، أعرف ما وصل إليه تهريج الجامعات، وضعف الانتاج، وتشويه الدين ولغظنته، أعرف قانوننا الخاص بجلود الفراعنة على الكراسى، والمساجين في الزنازين، أعرف ما وصل إليه توحش الأثرياء وجشع الاحتكار، وترويج التبعية والاستسلام، لكنني لا أعرف - للأسف - لماذا لم يختلف ذلك "الشيء الم... ما". وراء كل هذا!!!

#### وبعد

المساحة محدودة والحمد لله، وهي لا تسمح لي إلا أن أكمل المتعنتة: بقسم صادق وشهادة تبرئة.

أما الشهادة فهي أنني أعرف إسمي، وأنتي أكتب الآن "تعنتة" الأسبوع، وأنا في شهر مايو، ولم يبق على خمسة يونيو "المجيد" سوى أسبوعان، وأن الجنيه هو أقل وحدات العملة المتداولة حاليا، وأن رئيسنا باق حتى لو تغير، وأنتي أعتبر اليأس رفاهية الكسالى، وخيانة المنسحبين.

أما القسم الصادق، فهو أنني أقسم بالله العظيم ثلاثا أنني رأيت وأرى هذا الشيء بعينى رأسى موجودا غصبا عني وعنك، وأنه سوف يتجلى "بنا" في يوم ما، ليفرض نفسه علينا.

هل عندك مانع؟!!